

المدراس الدينية في باكستان:

النظام التعليمي، المشاكل والحلول الممكنة¹

Religious Schools in Pakistan: Education System, Problems and Possible Solutions

¹حافظ ابن اسد، استاذ الحديث جامعة المحصنات لاہور

Abstract:

This article is about madaris education system in Pakistan. The central status of religious schools in the Islamic world is not achieved by any other institution. The greater the religious consciousness in the public circles of any Islamic country, the greater the influence of schools. The importance of schools can be estimated from the fact that sometimes a religious madrasa is the center of activity of several sub-madrasas, mosques, Quran centers and libraries as well as religious and social activities

When we look at the situation of religious madrasahs established in an Islamic country like Pakistan, we have to admit that religious madrasahs do not have the central importance they should in the public circles. If not found, his grip on the public is read as loose and the graph of his popularity among the people also comes down. Then people start considering such institutions as a burden on the society or see them as blessed archeological buildings. This also happens because a building that does not meet the contemporary requirements automatically becomes part of the archeology.

Keyword: Education System, Religious, Pakistan, Madaris

أهمية العلم والتعليم في الإسلام:

الحقيقة الأولى التي ظهرت عند أول وحي نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم هي أن الإسلام دين العلم والقراءة حيث يتحدث الآيات الأولى التي جاء بها جبريل عليه

السلام عن قضية واحدة وهي قضية العلم، قال الله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ} (i).

وليست بداية في القرآن الكريم فحسب هي التي تتحدث عن العلم وقيمه وأهميته في قوله: اقرأ، بل كان هذا منهجاً ثابتاً في هذا الدستور الخالد، فلا تكاد تخلو سورة من سوره من الحديث عن العلم، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. وإذا نظرنا إلى الأرقام الإحصائية في القرآن الكريم فنجد أن كلمة "العلم" بمشتقاتها المختلفة ذُكرت فيه حوالي 780 مرة، أي بمعدل سبع مرّات تقريباً في كل سورة. وهذا غير الكلمات الأخرى التي تشير إلى معنى العلم ولكن لم تُذكر بلفظه مثل: الحكمة، والفقه، والبرهان، والدليل، والحجة، والآية، والبينة، وغير ذلك من معانٍ تندرج تحت معنى العلم وتحثُّ عليه. أمّا الأحاديث النبويّة فإحصاء هذه الكلمة فيها يكاد يكون مستحيلاً.

ومن الملاحظ أن اهتمام القرآن بقضية العلم لم ينحصر في أولى لحظات نزوله فقط، وإنما كان ذلك منذ بداية خلق الإنسان نفسه، كما حكى ذلك القرآن الكريم في آياته أن الله خلق آدم وجعله خليفة في الأرض، وأمر الملائكة أن تسجد له، ثم ذكر لنا وللملائكة سبب هذا التكريم والتعظيم فعين أن العلم هو السبب في ذلك، قال تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ" (ii)

والرسول صلى الله عليه وسلم عندما أعلن عن قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة فور وصوله إليها عند الهجرة قام ببناء أول مؤسسة تعليمية ومدرسة رسمية عرفت في التاريخ باسم "الصفة" وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول معلم فيها وأصحاب الصفة كانوا تلامذتها الأولون الذين تركوا الدنيا وأمورها وانشغلوا بالعلم ثم نقلوا هذا العلم بدورهم إلى الآخرين. فالصفة كانت أول مدرسة نظامية في الإسلام و المخصن التربوي الأول الذي ربّى النبي صلى الله عليه وسلم فيه مجموعةً من أصحابه الذين قاموا بتبليغ رسالة الإسلام.

نبذة تاريخية عن المدارس الإسلامية في شبه القارة الهندية:

استقر الإسلام في الهند في عهد الغزنويين الذين سيطروا على الهند في القرن الرابع الهجري وامتد حكمهم إلى القرنين، كان هذا العصر الذي بدأ فيه الاهتمام بالتعليم الديني في شبه القارة الهندية. (iii) اهتم الغزنويون بالتعليم والدعوة في مختلف المناطق في الهند

واستقدموا العلماء والدعاة والمصلحين أو قدموا بأنفسهم ليستقروا في الهند ويقوموا بنشر العلم والدعوة، وأخذ الغزنويون من لاهور عاصمة لهم بعد إخراجهم من "غزنة" فأصبحت لاهور مأوى العلماء وحاضرة العلم والثقافة الإسلامية. (٧) وقد أنشئت مدارس إسلامية ومراكز تعليمية والمكتبات في مناطق مختلفة.

استولى شهاب الدين غوري على الهند بعد الغزنويين في منتصف القرن السادس الهجري وأنشأ مدارس في أجمير وغيرها من المناطق. (٨) وعندما تولى زمام الأمور في الهند الأسرة الخلجية برئاسة السلطان جلال الدين الخلجي (1290-1296م) بدأ الاهتمام بالعلماء وطلاب العلم وكان بلاط السلطان مجمعا للعلماء. وحينما تولى غياث الدين تغلق زمام الأمور عام 1320م كانت حركة العلم أول ما لفت انتباهه، واهتم بعده ملوك هذه الأسرة بالتعليم وبناء المدارس ووصل عدد المدارس في دهلي فقط إلى ألف مدرسة. (٩) واهتم جميع سلاطين أسرة تغلق بالعلم والمعرفة وبناء المراكز التعليمية.

ويعدّ عهد المغول الذي بدأ عام 1526م من العصور الذهبية للحركة العلمية والثقافية، فقد أسست مدارس جديدة وترجم الكتب بين لغات مختلفة. (١٠) كان سلاطين هذه الأسرة من أكثر الملوك اهتماما بالعلم والعلماء فقد كان جلال الدين أكبر (1556-1605م) يتابع سير المدارس بنفسه وقد رتب له أبو الفضل دستورا باسم "آئين أكبري" الذي تحدث فيه عن طلاب العلم في زمنه وأشار إلى المنهج الدراسي المتبع في المدارس الابتدائية كما اقترح بعض التغييرات في المنهج. وبرز كثير من العلماء الكبار في هذا العصر الذين رفعوا لواء العلوم الشرعية ومنهم الشيخ أحمد السرهندي (م: 1034هـ) الذي لقب بمجدد الألف الثاني والشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي وغيرهم.

وكان السلطان أورنكزيب عالمكير من أكثر الناس اهتماما بالمساجد والمدارس فقد أجرى في كل قرية ومدينة رواتب حكومية للعلماء وأئمة المساجد الذين كان أغلبهم يديرون مدرسة في كل مسجد تقريبا. وبعد أورنكزيب جاءت مجموعة من ملوك الأسرة المغولية إلا أن هذه الفترة كانت فترة شيخوخة إمبراطورية المغول، حيث بدأ نفوذ الإنجليز في البلد وقضوا على سلطنة المغول تماما بعد حرب عام 1857م.

إن من مسؤوليات الحكومة الإسلامية أن توفّر لجميع رعاياها فرص التعليم المناسب، وكانت الحكومة في شبه القارة الهندية تقوم على أسس قوية بأداء هذه المسؤولية لمدة طويلة منذ القرون القديمة إلى نهاية حكم المغول، يقول في هذا الصدد الشيخ حسين أحمد المدني:

"كان التعليم في الهند مجانا من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة العليا، وكان الملوك والأمراء والحكام وأهل الخير يخصصون جزءاً كبيراً من عقاراتهم لمهمة التعليم والتربية، كما تم وقف ربع إقليم بنغال لسداد مصاريف التعليم والتعلم. كان خمسة آلاف عالم في مقاطعة "روهيل كند" فقط عند سقوط حكومة دلي المركزية، الذين كانوا يدرسون في المدارس الدينية ويستلمون الرواتب من حكومة حافظ رحمت خان." (١١)

كان ذلك في العصر الذي كانت علوم الهندسة والفلكيات والرياضيات والطب من ضمن المقررات الدراسية إلى جانب الفقه والتفسير والحديث وما إلى ذلك من العلوم. لم يكن هناك أي فرق بين العلوم الدينية والدنيوية. ذكر "هملتن" في وقائع سفره عند حديثه عن حكومة الملك أورنكزيب وأحوال مملكته أن هناك خمس مائة كلية لمختلف العلوم والفنون في بلد "تهاتا" (مدينة قديمة في السند) وضواحيها فقط.

الجدير بالذكر أن هملتن استخدم كلمة "كلية" "college" بدل كلمة المدرسة، وكما ذكر المؤرخ المقريري: أن هناك ألف مدرسة كانت في بلدة دلي في عصر الملك شاه محمد تغلق. وكتب كثير من المؤلفين البريطانيين أنه كانت ثمانون ألف مدرسة بإقليم بنغال قبل الاحتلال البريطاني للهند.^(ix) دخلت بريطانيا إلى شبه القارة الهندية تحت مظلة "شركة الهند الشرقية" وأنشبت أظفارها واستولت على الهند وأخذت تخطط للقضاء على النظام التعليمي في الهند وتغيير المواد الدراسية وسنذكر أهم المخططات المحطمة التي قامت بها شركة الهند الشرقية للقضاء على نظام التعليم في الهند.

نهاية النظام الحالي:

كتبت ما تسمى بـ "لجنة إصلاح الهند" التي أسست في بريطانيا عام 1853م في إحدى رسائلها "كانت هناك مدارس في كل منطقة أيام الهند الكبرى، فيما أننا ألغينا جميع البلديات واللجان المحلية، حُرِم أهالي تلك المناطق من هذه المدارس ولم نقم بإنشاء أي مؤسسة تعليمية مكانها.^(x) وهكذا تم القضاء على المدارس المنتشرة في كل أنحاء البلاد.

اعترف المؤرخ البريطاني الشهير وليم هنتر في كتابه "مسلمونا الهنود" (Our Indian Musalmans) لم يكن المسلمون قبل حكمنا في الهند يتفوقون سياسياً فحسب بل كانوا متفوقين في مجال العلم والمعرفة، فقد كانوا يمتلكون نظاماً تعليمياً رائعاً لا يمكن تجاهله لأنه كان يقوم بإعداد جيل من ذوي العقول العالية والممتازة كما أن أسس هذا النظام لم تكن عابثة رغم أن مبادئها وأسسها لم تكن تطبق كما كان ينبغي تطبيقها، ولا شك أنه من أحسن النظم التعليمية التي منح المسلمين تفوقاً علمياً وسياسياً.^(xi)

أشار وليم هنتر في مقام آخر:

"والحقيقة أننا عندما استولينا على الهند كان المسلمون أعظم مكانةً وأعلى منزلةً ولم يكونوا يمتلكون عقولاً ممتازةً وأجساماً قويةً فحسب بل كانوا متفوقين في السياسة العملية والمجالات العلمية والفكرية."^(xii)

يقول البروفيسور محمد سليم نقلاً عن الدكتور اشتياق حسين إن "شركة الهند الشرقية" أعلنت عن استراتيجيتها التعليمية في الهند التي كانت تشمل على النقاط التالية:

- 1- من أهداف الشركة ترويج اللغة الإنجليزية والعلوم الغربية حتى لا يبقى على سكان الهند الأديان الغربية وحضارتها غريباً.
- 2- إعداد فوج من الموظفين الذين يعرفون اللغة الإنجليزية ليكونوا همزة وصل بين الحكومة والسكان.

3- استمرار النظام الحالي للتعليم إلى أن يتم تدريب وإعداد مجموعة من الموظفين الذين يعرفون اللغة الإنجليزية تفادياً للعوائق والعطل في أعمال الحكومة اليومية.

4- إنهاء التعليم الإسلامي على أية حال وإنهاء سيطرة اللغة الفارسية، وتعزيز اللغات المحلية للاتصال بين عامة الناس والحكومة وجعل اللغة الإنجليزية لغة رسمية بدل اللغة الفارسية.^(xiii)

والحقيقة أن الإنجليز قاموا بتنفيذ هذه السياسة تدريجياً وقضوا على نظام التعليم القديم حسب ظروفهم كما أسسوا بعض المدارس العربية أيضاً في بعض المناطق تجنّباً من الاتّهام بعبادة الإسلام، وقد خدمت هذه المدارس حكومة الإنجليز حيث خرّجت دُفَعَاتٍ من المستشرقين.

يقول هنتر في كتابه "مسلمونا الهنود":

"نحن استفدنا منذ بداية حكومتنا خمسا وسبعين عاماً من هذا النظام القديم أي المدارس الإسلامية في الهند حتى يتم اختيار الضبّاط لإدارة النظام الجديد في حكومتنا، وبدأنا في نفس الوقت بمشروعنا التعليمي الخاص، فإذا تمت تربية الجيل الجديد عبر نظامنا الخاص، فحينها تركنا نظام التعليم الإسلامي كلياً وبذلك وجدّ الشاب المسلم جميع الطرق مسدودة أمامه."^(xiv)

يتبين من تصريحات ولیم هنتر أن من أهداف نظام التعليم البريطاني سد طرق المعاش للمسلمين ودفعهم نحو الوحدة والعزلة وجعلهم من المحتاجين في المجتمع. وفي عام 1793م تم تطبيق قانون أسود باسم "الاستيطان الدائم للأراضي" (Permanent settlement of land) وبموجبه تمّت مصادرة الأوقاف والعقارات والحقول التابعة للمدارس وأصبحت ملكاً للاستعمار البريطاني كما بيعت الأراضي والعقارات الثمينة التي كانت يملكها المسلمون للمقاولين الهنودسيين بأسعار رخيصة. نتيجة لذلك عمّ الفقر والإفلاس بين المسلمين ودمر اقتصاد المسلمين في البلاد حتى احتاجت الأيدي العليا إلى غيرها وواجه العلماء والمشائخ أزمات مالية كبيرة لا نهاية لها.

وفي عام 1844م أصدر الحاكم "لورد ماردنك" قانوناً بموجبه تم حصر توظيف من يعرف القراءة والكتابة باللغة الإنجليزية وشاعت البطالة بين خريجي المدارس الدينية الذين لم يعرفوا إلا اللغة الفارسية والعربية .

أشار بروفيسر محمد سليم في كتابه:

أصبح المشائخ العظام والعلماء الكبار غير مؤهلين حتى لوظيفة الكاتب في القطاع الحكومي حتى ولو كان الشيخ شبلى النعماني، والسيد سليمان الندوي. وليس هذا فقط بل كان يتمّ ترشيح الهندوس للوظائف الحكومية.^(xv)

كما تمّ تطبيق قانون القضاة في 1804م الذي أُقيل بموجبه القضاة المسلمون عن مناصبهم وبدأ القضاة غير المسلمين يحكمون حتى في قضايا النكاح والطلاق والتراث. أشار وليم هنتر في كتابه حول "قانون الاسترداد للإنجليز" وهو قانون أُصدر لاسترداد الأوقاف من المسلمين وتحويلها إلى الحكومة:

"كانت حدود بنغال تتوسع من بورما إلى شرق بنجاب وتمت إقامة مكتب واحد فقط لجميع هذه المنطقة الكبيرة "لاسترداد الأوقاف" وتم تعيين مدير عام لهذا المكتب ونائب له وبعض الموظفين، وأسست محاكم خاصة تُصدرُ الحكم الفوري ضدّ كل من يخالف أوامرهم وكان لهم جواسيس يتجولون في المناطق يخبرون الإنجليز بأحوال المسلمين وكان لهم شهود زور يستخدمونهم في كل وقت. تم تضيق الخناق على مئات العائلات القديمة ودُمّرت حياتهم، وأبطل الاستعمار نظام التعليم الذي كان يخدم المجتمع بسبب هذه العائلات الموقرة." (xvi)

أخذ الحاكم العام للهند قرارا في 7 مارس عام 1853م حول نظام التعليم القديم، يشمل على النقاط التالية:

- 1- الهدف من التعليم الحكومي في الهند نشر العلوم الغربية والعلمية في الهند.
- 2- اللغة الإنجليزية تكون لغة رسمية في البلاد.
- 3- أن تكون لغة التدريس وجميع العلوم والفنون هي اللغة الإنجليزية.
- 4- لن يتم صرف أي شيء من أموال الحكومة لصالح العلوم الشرقية .
- 5- إلغاء جميع المنح الدراسية القديمة للطلاب.

وبموجب قرار رقم 29 الصادر في 1838م أصبح هذا القرار من قوانين البلد، وهكذا تمت القضاء على اللغة الفارسية حيث فقدت قيمتها في البلد بعد أن كانت لغة البلاط والمحاكم والمصالح الحكومية الأخرى إلى جانب لغة العلم والثقافة لأكثر من ألف عام. شاعت البطالة في البلد واعتُبر مئات الآلاف ممن درسوا العربية والفارسية أميين وغير مثقفين. ومن هنا نشأ الفرق بين التعليم الديني والديني واشتدّ هذا الفرق حتى وصل إلى حد خطير في عصرنا هذا.

مشاكل المدارس الدينية في باكستان حاليا:

تعاني المدارس الدينية في باكستان من بعض المشاكل والسلبيات التي تؤثر في أدائها، قسمنا هذه المشاكل إلى قسمين: المشاكل الداخلية والمشاكل الخارجية. نظرا لأهميتها سوف نناقش المشاكل الداخلية أولاً.

1- قلة الخبرة في العمل الإداري :

المدارس الدينية في باكستان هي مؤسسات تعليمية خاصة يديرها شخص واحد ويتصورها ملكا خاصا به يتوارثها من بعده أولاده، وهذا النوع من الإدارة مع أن له إيجابيات إلا أن سلبياته كثيرة، إذ يغلب الاستبداد في الرأي على إدارة المدرسة وفي الأغلب

تكون مصالح الإدارة أو المدير مقدمة على جميع الأمور حتى على مستوى التعليم وسير المدرسة ومصالح المدرسين حيث يستغل المدير ظروف المدرسين استغلالاً سيئاً حتى الاستغناء عن خدماتهم بسبب أو غيره، فليس هناك أي قانون يحفظ للمدرسين والعاملين أو الطلاب حقوقهم. وهذا اللون من الإدارة يفقد مصداقيتها لعدم التأكد من شفافية الحسابات، ويظهر في بعض الأحيان سلوكيات سلبية أخرى مثل استغلال المدير وسائل المدرسة لمصالحه الشخصية وهذا يشوّه سمعة هذه المدارس والقائمين بإدارتها. معظم هذه المدارس تواصل نشاطها بالتبرعات والصدقات من عامة الناس لعدم وجود أوقاف أو موارد مالية ثابتة فإنها تواجه الكثير من المعاناة المادية، مما يعكس على رواتب الأساتذة وأجور العاملين فيها، الأمر الذي يسبب في التوتر بين المدرسين والإدارة ومن ثمّ يتأثر أداء المدرسين وتركيز الطلاب على الدراسة.

2- عدم اتباع الطرق الحديثة للتدريس:

المشكلة الأساسية للمدارس الدينية ليست في منهجها ولا في نظامها بل في طريقة التدريس الدارجة فيها، فالمدارس لا تهتم بالوسائل الحديثة فمعظم المدارس لا تستخدم حتى السبورة لشرح الدروس فضلاً عن الوسائل المتطورة مثل الحاسوب والألات السمعية والبصرية الحديثة.

والأمر المهم في هذا الصدد أن الطريقة المتبعة للتدريس في هذه المدارس هي الطريقة التقليدية من غير مشاركة من الطلاب مع أن الطرق الحديثة تعطي للطلاب دوراً كبيراً في العملية التعليمية داخل الفصل الدراسي والسبب يرجع في ذلك لبعد هؤلاء المدرسين عن التطورات الحديثة في طرق التدريس.

المشكلة الأخرى في هذا الصدد اهتمام المدارس بالقضايا التي لم تعد تشغل بال عامة الناس في العصر الحديث أو القضايا التي لا تمتّ بصلة بالحياة العملية والأجدر بالذكر أن معظم المدرسين يكتفون بمجرد نقل كلام الآخرين بعيداً عن فهمه.

3. الاهتمام بالمتن بدل العلم:

ومن المشاكل في المدارس الدينية في باكستان الاهتمام بمتن المقررات الدراسية بدل ما فيه من العلم، فإن معظم المقررات الدراسية في هذه المدارس عبارة عن المتون القديمة المختصرة التي كانت تُعدّ علامة التفوق العلمي في عصرها مثل كافية ابن الحاجب في علم النحو والشافعية في علم الصرف وكتاب مسلم الثبوت في الفقه وسلم العلوم في علم المنطق وغيرها. جُلُّ همّ المدرّس حل المتون والعبارات الصعبة الشبيهة بالألغاز لهذه الكتب، ويحاول الأستاذ أن يقدم جميع المعاني المحتملة لتلك العبارات وأن يناقش جميع الشبه الواردة عليها وفي بعض الأحيان يأخذ شرح خطبة الكتاب فقط عدة أشهر لكثرة القيل والقال فيها والمباحث التي لا طائل لها بعيداً عن موضوع العلم الذي ينبغي أن يهتم به.

4. الاختلافات الفقهية:

يعد الاختلاف العلمي نشاطاً حيويّاً في أوساط المثقفين لكن الخلافات الحزبية والطائفية والمذهبية تسبب في التنافر والكرهية والبغضاء بين مختلف الفئات الدينية.

وهذه هي المشكلة الأساسية في هذه المدارس التي تعطي الأولوية لهذا الجانب. جلّ اهتمام المدرسين في هذه المدارس الانتصار لمذهبه الفقهي الذي يتبعه وإبطال مذهب الآخرين بأي قيمة. ولا تسمح المدارس الدينية التابعة لفئة خاصة لطالب من المدرسة الفكرية الأخرى أن يلتحق بها ويدرس أو يطبق مذهباً فقهماً غير مذهب صاحب المدرسة. فلو ناقشت طالبا من طلاب هذه المدارس في مسائل خلافية فقهية مثل قراءة الفاتحة خلف الإمام مثلاً أو رفع اليدين في الصلاة، تجده متقناً لجميع أنواع الأدلة لمذهبه الفقهي الذي يتبعه وردّ جميع الشبه الواردة عليه بخلاف ما إذا ناقشته في غيرها من المسائل العلمية فتجده بعيداً عن العلم كل البعد. وهذا الاتجاه يسبب في بروز أفكار متطرفة إذ تتحوّل هذه الخلافات إلى التفرقة والنزاع والجدال والصراع المذهبي ثم السياسي بين مختلف الفئات.

انقسام المجتمع الباكستاني إلى مدارس فكرية متعددة مثل الديوبندية والبريلوية وأهل الحديث وغيرها من الفرق جاء نتيجة لهذه الخلافات الفرعية التي حكمت بطبيعتها بتوزيع المساجد وعدم السماح لأتباع المذهب الآخر بالصلاة في مساجد بعضهم البعض مع وجود عقبات أخرى في بعض الأمور والإجراءات مع الجهات الحكومية المختصة.

4. مشكلة التوظيف بعد التخرج:

من المشكلات التي يواجهها طلاب المدارس الدينية بعد التخرج أنهم لا يجدون الوظائف في الدوائر الحكومية سوى تدرّس في المدارس نفسها أو أن يتولى الخطابة أو الإمامة في مسجداً. ومن هنا يواجه أغلب الخريجين مشاكل اجتماعية واقتصادية والسبب في ذلك أن العلوم التي يتم تدريسها في هذه المدارس لم تعد محل الاهتمام في المجتمع، لأن المجتمع يهتم بالعلوم التي يمكن أن توفر فرصاً للتوظيف. ثم إن الحكومة لا تمنح معادلة لشهادات هذه المدارس إلا مع التصريح بأن حامل هذه الشهادة يمكن توظيفه في مجال التدريس في نفس المجال فقط لأن معظم المدارس تروج نظامها التعليمي القديم الذي لا يقتضي احتياجات العصر الحديث ولا يلائم بمقتضى الحال. ومن هنا يجد الخريج نفسه أمام طريق مسدود بعد تخرجه.

المشاكل الخارجية:

1. فقدان الثقة بين المدارس الدينية والحكومة:

شكل مجلس الأمن القومي الباكستاني برعاية الحكومة لجنة لمراجعة أحوال المدارس الدينية وقرر المجلس أن مهمة هذه اللجنة هي "تحسين ظروف المدارس الدينية وإيجاد طرق لدمج المدارس الدينية في نظام التعليم الحكومي من غير تعرّض لاستقلاليتها وقراراتها" وكان المشكلة في نظر الحكومة هي انفصال نظام التعليم الديني عن نظام التعليم العام. وأوّل حل اقترحه هو إنشاء هيئة تعليمية للإشراف على المدارس الدينية باسم (Madrasah Education Board) كما تولى هذه الهيئة مهمة وضع المناهج الدراسية للمدارس الدينية. وأعلنت الحكومة تسجيل المدارس الدينية لدى هذه الهيئة غير أن معظم المدارس لم تلبى نداء الحكومة واعتبرتها ضربة على استقلاليتها ولم تقم بالتسجيل لديها ولكن بعد

أحداث الحادي عشر من سبتمبر تغيرت سياسة الحكومة الباكستانية تجاه المدارس الدينية وبدأت تضغط عليها.

اعتبر أصحاب المدارس الدينية هذه الخطوة محاولة فتح المجال للتدخل في شؤون المدارس ومن ثم ذريعة للتغيير في مناهجها وإخراج بعض العلوم منها بينما أعلنت الحكومة أنها تريد إصلاح أحوال هذه المدارس فقط ولا نية لها للقضاء أو السيطرة عليها. ولكن المدارس الدينية لم تطمئن من مبادرات الجهات الحكومية وهناك أسباب ملحوظة أخرى لانعدام الثقة بين الجانبين من أهمها دعاية حكومية بأن المدارس ترفض تسجيلها ولكن المدارس لم ترفض هذا في يوم من الأيام، فقد لوحظ أن الجهات الحكومية المختصة تستلم طلبات كثيرة كل يوم لتسجيل المدارس إلا أن الحكومة جعلت إجراءات التسجيل صعبة جدا حيث شرطت على المدارس الحصول على إذن كتابي من الأجهزة الأمنية التي تقوم باستفسارات غير متعلقة وجمع معلومات شخصية لأصحاب المدارس حتى أسماء الأخوة والأخوات وأرقام هواتفهم وهذا ما يؤدي إلى قلق وإزعاج لأهل المدارس.

2. اتهام المدارس باستلام الأموال من خارج البلد:

المدارس الدينية في باكستان تواصل مسيرتها بالمساعدات والتبرعات التي تجمعها من المحسنين، ولكن تنازُّ شبهات واتهامات من قبل الخصوم حول تمويلها من الجهات الخارجية. ولكن الذي يعرف المدارس يدرك أن هذه تهم غير حقيقية وقد اعترف بذلك وزير الداخلية شودري نثار أحمد علنا في المؤتمر الصحفي الذي عقد في 8 سبتمبر 2015م أن اثنتان وثلاثون مدرسة من عشرات الآلاف فقط تتلقى المساعدات الأجنبية^(xvii). والجدير بالذكر أنه لا يُسمح للمدارس بفتح حساباتها الخاصة في البنوك مع أن هذا في صالح الحكومة لمراقبة حساباتها.

تحظى المؤسسات الأخرى في باكستان بعد رعايتها للقوانين واللوائح الحكومية بتسهيلات مناسبة من قبل الحكومة ولكن المدارس الدينية مع أنها تطبق جميع لوائحها لا تزال تواجه العديد من المشاكل في هذا الصدد والحكومة ليست جادة في حل قضايا المدارس الحقيقية.

3. ازدواجية النظام التعليمي:

نظام التعليم في باكستان ينقسم إلى نوعين: منهج يتبعه المدارس الحكومية ومنهج اتخذته المدارس الدينية، وهذا التقسيم على أساس الفرق بين الدين والدنيا فمنهج المدارس الدينية يُسَمَّى التعليم الديني والآخر الدنيوي وهذا التقسيم في المنهجين اللذين يختلفان في أسسهما وأهدافهما ونتائجهما أدى إلى تقسيم المجتمع.

الإسلام يضع الأسس والضوابط لجميع مجالات الحياة. وبما أن الغرب يعتمد على العقل فقط فقد أخرج الوحي من موارد العلم، لذلك تم الاعتراف عندهم بالعلوم الدنيوية فقط وأمهلوا العلوم الدينية واقتصر أداء ومهام العلوم الدينية في دائرة المساجد والمدارس فقط. الحل الأمثل حسب رأي سيد أبي الحسن الندوي هو المنهج المشترك لجميع

المؤسسات التعليمية حتى مرحلة المتوسطة مع التركيز الأكثر على الجانب الديني ثم التركيز في المراحل العليا على المواد الجغرافية والتاريخية واللغة الإنجليزية.^(xviii)

4. الحرب على الإرهاب والمدارس الدينية:

ومن المشاكل الكبيرة التي تواجهها المدارس الدينية هي اتهامها من قبل الغرب وأتباعهم في البلد بتورطها في الإرهاب. بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر تعرضت المدارس الدينية لحملة شرسة من وسائل الإعلام الغربية بأن لها علاقة بالعنف والإرهاب وقد اشتدت هذه الاتهامات بعد الغزو الأمريكي لأفغانستان. يرى المهتمون أن المدارس الدينية ترعى الإرهابيين والجهاديين وتقوم بتدريبهم ولكن لم تُعثر على مدرسة واحدة حتى الآن تقوم على تدريب وتجنيد المسلحين.

وقد اعترف وزير الداخلية الباكستاني في مؤتمر صحفي الذي عُقد في 13 فبراير عام 2016م أن المدارس لا علاقة لها بظاهرة الإرهاب بل إنها وعلى نقيض من ذلك تعرقل مسيرته.^(xix)

الحلول الممكنة:

لا يوجد عائق إلا وله سبيل للخروج منه ولا مشكلة إلا ولها حل، ولا يتطلب ذلك إلا الجِدَّ والإخلاص والتشاور مع التخطيط الصائب والوعي الجيد للتحديات والاستعداد التام للتغليب عليها والتحكم فيها. وفيما يلي بعض الاقتراحات للتغلب على المشاكل التي تواجهها المدارس الدينية في باكستان:

❖ لا تكفي النية الخالصة للأداء الإداري الجيد ولا تعتمد العمل الإداري على القدرات والمواهب فحسب وإنما يحتاج ذلك لتدريب مهني تقوم به مؤسسات متخصصة، لذلك ينبغي الاستفادة بها في مجال الإدارة كما يجب إقامة دورات تدريبية يشارك فيها جميع منسوبي المدارس من المدرسين والإداريين والقائمين بأعمالها.

❖ يجب الاستفادة من طرق التدريس والوسائل المساعدة الحديثة مثل الحاسوب وشبكة الانترنت وتجهيز القاعات الدراسية بأدوات حديثة ووسائل متعددة لتلبية حاجات الطلاب.

❖ وضع خطة مالية قوية للقضاء على المشاكل الاقتصادية والبحث عن الأوقاف كمورد مالي ثابت للمدارس الدينية، وإقامة دوائر قصيرة وورش الأعمال مقابل رسومات تساعد في سداد المصاريف. كما يجب وضع ميزانية سنوية كاملة لكل مدرسة و الالتزام بتوزيع النفقات الإدارية ومصاريف البناء وغيرها من المصاريف حسب الميزانية وعدم المخالفة إلى حد ممكن.

❖ إن المدارس الدينية في حاجة ماسة إلى تطوير علاقاتها الطيبة مع عامة الناس، وينبغي إضافة علم النفس والأخلاق إلى المقررات الدراسية لتلبية لمتطلبات العصر الحديث. ويجب تجنب من المسائل الخلافية قدر الإمكان وإذا لزم الأمر فينبغي أن

يكون على قاعدة أن " رأي صحيح يحتمل الخطأ ورأي غيري باطل يحتمل الصحة"

- ❖ على الرغم من أن المذاهب الفقهية لها دورها وأهميتها في مجال البحث العلمي ، لكن البلاد تحتاج حالياً إلى نشر فكر التسامح والتقارب والوئام والوسطية ونبذ الطائفية والفرقة والنزاعات والبعد كل البعد عن الغلو والتطرف لجلب عواطف الناس كما يجب ضرورة الاحترام المتبادل للعلماء والقادة ورجال الدين.
- ❖ ضرورة إقامة العلاقات الجيدة وعقد جلسات المفاوضات بين الحكومة والمدارس الدينية وصولاً لحل المشاكل التي تعاني منها المدارس دون اللجوء إلى لغة القوة. هناك خمس مجالس ومنظمات مختلفة تدير المدارس الدينية ولها اتحاد باسم "اتحاد تنظيمات المدارس الدينية" يقوم بالتفاوض مع الحكومة للوصول إلى حل مقبول للمشاكل الموجودة بين الحكومة والمدارس وقد عُقد له دورات عديدة من الجلسات مع المسؤولين في الحكومة وتم تشكيل لجان متعددة ما زالت تعمل من أجل الوصول إلى الحل. وبهذا سوف تتمكن المدارس من إزالة الشبهات والتهم الموجهة إليها وبالتالي سيمهد الطريق لتسجيل المدارس الدينية لدى الحكومة.

المراجع

(i) سورة العلق، آية - 1، 2.

(ii) سورة البقرة: 30 - 33

(iii) غلام محمد غبار، افغانستان في مسرة التاريخ، (مكتبة سبا، بشاور، 2000م)، ج: 1، ص: 115.

(iv) انظر: رحمان علي، تذكرة علماء الهند، (د.ن)، لكانوا 1996م، ص: 33، وتاريخ أوتش، مولوي محمد حفيظ بمالوبوري، دكي نعل بندي، بشاور، د.ت، ص: 40.

(v) حياة الشيخ عبد الحق محدث دهلوي، خليف أحمد نظامي، (مكتبة رحمانية، لاهور، 1372هـ)، ص: 18.

(vi) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج: 1، (دار الفكر، بيروت، 1991)، ص: 240.

(vii) أبو الفضل الأكبري، آئين أكبري ((الدستور الأكبري))، مطبعة نولكشور، حيدر آباد الدكن، 1956، ج: 1، ص: 35.

(viii) كتاب، كيف نمينا الاستعمار البريطاني صفحة رقم 42

(ix) نفس المرجع.

(x) تقرير لجنة الإصلاح إحالة إلى كتاب المستقبل المشرق للمسلمين.

(xi) مسلمونا الهنود، وليم هنتر صفحة رقم 145

(xii) مسلمونا الهنود، وليم هنتر صفحة رقم 145

(xiii) بروفييسر محمد سليم نظام التعليم والتربية في شبه القارة الهندية نقلًا عن اشيتاق حسين قريشي «التربية في باكستان»

(xiv) مسلمونا الهنود، وليم هنتر، ص: 152

(xv) كتاب " نظام التعليم والتربية في شبه القارة الهندية" بروفييسر محمد سليم، ص: 210

(xvi) كتاب مسلمونا الهنديون، مؤلف وليم هنتر صفحة رقم 158

(xvii) الصفحة الرسمية لوفاق المدارس العربية.

(xviii) كتاب " المدارس الدينية والمنهج ونظام التعليم ومقتضيات العصر الحديث ، مؤلف حافظ حقاني ميان قادري

(xix) الموقع الرسمي "دي تائمز آف باكستان"